سميح القاسم
الى الجحيم ايها الليلك المقدس
منشورات صلاح الدين ·

تشكل الرواية الاولى للشاعر الفلسطيني في الارض المحتلة سميح القاسم ، خطوة متقدمة كنموذج في الرؤية التقدمية الواقعية لقضية الشعب الفلسطيني والقضايا الانسانية بشكل عام ·فمن خلال المعاناة الحقيقية والشعور الكامل بالمسؤولية يجسد القاسم في روايته هذه حقيقة المأساة التي منها عانى ويعاني الانسان العربي الفلسطيني والانسان اليهودي · فمنذ بداية « الانشطار » ـ الفصل الاول في الرواية ـ حتى نهاية « القيامة » ـ الفصل السادس الاخير ـ تلمس التوتر والقلق يهيمنان على الواقع الذي تصوره الرواية مما يعلن بوضوح كامل عن عدم الاستقرار لهذا الواقع واستحالة استمراره · وتلمس الاخطاء الفاجعة والافكار الانهزامية والرجعية التي استطاع الكاتب ان يسلط عليها ضوءا كاشفا قويا يجعلك تدرك بسهولة ووضوح حدود المسؤولية القابعة وراء هذه الافكار ـ الكارثة · وخلال ذلك لا يقف الكاتب محايدا ـ فهو محور الرواية ـ هو لا يكتفي بان يعكس هذه الحقائق على صفحات روايته بعبارات مكثفة شاعرية كما لا يكتفي بتحديد المسؤولية وانتظار الحكم بل ينحاز ، يدين الفكر الرجعي الذي خلق المأساة وادى الى استمرارها، ويدعم بكل قواه الفكر التقدمي الثوري ·

والكاتب من أجل تحقيق ذلك يستنبط الاسلوب الذي يستطيع حمل هذا التجديد· فهو لم يرتض الاساليب التقليدية لهذه الرؤية الجديدة · فمع انه كتب على الغلاف الخارجي بان الرواية هي (حكاية اوتوبيوغرافية) الا ان الرواية لا يجوز ان تفهم على اساس انها سيرة حياة الكاتب : فهي « حكاية » تعتمد على تاريخ حياة الكاتب اعتمادا كبيرا او انها حياة الكاتب ادغمها في فهمه لواقعه ورؤياه لمستقبله : هي تاريخ حياة الكاتب كخلاصة لتاريخ حياة شعب تجرع المأساة فصمد ·· وهاجر ·· وعاد ·· وثار · فالرواية تستند فعلا الى مساحات من تاريخ حياة الكاتب رصفها متدمجة برؤياه ـ بفن خلاق واستخرج منها لوحة موزاييكية رائعة ·

وقد استفاد الكاتب تماما من تلك الاشارة (حكاية اوتوبيوغرافية) في انه اكسب روايته حدا اعلى من تأكيد صدق الاحداث وواقعيتها ولا يبدو ان اشخاص الزواية عند سميح القاسم بعيدون عنهم في رواية « المتشائل » فهم على الاقل متشابهون من حيث المهمات وان اختلفوا من حيث التركيب وطرق التعبير · فسعيد في رواية المتشائل خلال مسيرة حياته